الفصل الثالث عشر

الصحافة فى مصر

فى عهد الاحتلال الفرنسى

كانت مصر ولاية عثمانية فى الدولة العليا التى أنشئت فيها أول مطبعة فى القسطنطينية فى ١٧٢٨ . ولم يفكر أحد من الحكام الباشوات الذين تعاقبوا على حكم مصر فى إنشاء مطبعة أخرى فى القاهرة أو فى الأسكندرية .

ولم يمض ستون يوما على نزول الحملة الفرنسية إلى الأراضى المصرية حتى أصدر نابليون صحيفته الاخبارية السياسية Courrier de l'Egypte أى « بريد مصر » . وظهر العدد الأول منها فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٠ فى أربع صفحات . وكانت الجريدة تظهر مرة كل أربعة أيام فى الشهر الأول ، ثم جاوزت هذه المدة وأصبح صدورها غير منظم . وقد وضعت للجريدة منذ نشأتها سياسة محددة لم تبتعد عنها فى يوم من الأيام ، فهى لاتتعرض بالنقد لأعمال

الحكومة الفرنسية بأى حال من الأحوال ، وكان المحرر يخضع لاعتبارات كثيرة عند اختيار الأخبار ونشرها ، فمصير الجريدة حتما إلى أيدى الضباط والجنود الفرنسيين المقيمين بمصر وغيرها .

وكان قواد الجيش لا يهتمون بشىء مثل اهتمامهم بالروح المعنوية القوية التى يجب أن تسود قوات الاحتلال ، ولا يأذنون بنشر أى خبر يمس تلك الناحية من قريب أو من بعيد .

وكانت تسرف فى وصف ساحات القتال ، وتحاول أن تثبت الكلمات الأخيرة لمن يموتون بين قصف المدافع وصليل السيوف ، وتكثر من وصف الحفلات التى يحضرها نابليون بونابرت ، وتتحدث باسهاب عن حركات المقاومة التى يقوم بها الأهالى فى مختلف البلاد . ولكنها كانت ترمى فى الأولى إلى مدح القائد العام ورجاله ، وتدعى فى الثانية أن الفلاحين يستقبلون الفرنسيين فى كل مكان بالفرح والابتهاج ، لأنهم يخلصونهم من عسف البدو الرحل وظلم المماليك .

وكانت النداءات والتنبيهات التى تصدر للاهالى تجمع بين الثناء على بونابرت والتهديد بالشدة والحزم .

وكانت تترجم وتنشر فى الجريدة حتى يطلع عليها الجنود ،

فيتخيلون مبلغ قوتهم ويتصورون مدى نجاحهم . مثل ذلك ماجاء فى أحد المنشورات من « أن نابليون قد منع القوات من إحراق مدينة القاهرة وسلبها ، لأنه حكيم ، وخير ورحيم بالمسلمين ، فهو حامى الفقراء . ولولاه لما بقى أهل القاهرة على قيد الحياة » .

ومضى كليبر ومينو من بعد بونابرت على نفس الطريقة من الدعاية بين الأهالى . وكان مينو خاصة يذكرها فى منشوراته بالمظالم التى عانوها وبالدماء التى سالت فى القاهرة وبولاق والمحلة الكبرى عندما استمعوا لأهل السوء ، ويهددهم آخر الأمر بالنار والحديد إذا ماسولت لهم أنفسهم العودة إلى مناوأة رجال الاحتلال . ويختم النداء بما يأتى : « سلام من اتبع الهدى . . . والويل لمن ابتعد عن الصراط المستقيم . »

وكانت جريدة لوكوريبه تعنى عناية خاصة بأخبار الرحلات والبحوث العلمية للبعثة الفرنسية العلمية التى كانت نواة المجمع العلمى المصرى .

ويقول « الأستاذ اميل غالى » إن هذه الصحيفة كانت تعنى بنشر أنباء الحالة الصحية وحالة الأمن العام ، والنزاع الذى كان محتدما يومئذ بين انجلترا وارلندا ، وأنباء السياسة الفرنسية الداخلية والخارجية فى حرص على نشر ما يفيد فرنسا فقط .

أما فى الناحية الأدبية فقد حرصت لوكوربيه على ألا تثير شعور الحنين للوطن . فاهتمت ببعض الشعر الذى يمدح الجيش وقائده . ونشرت بعض القصائد التى تصف النيل والبلاد والآثار المصرية وصفاً يحببها إلى القلوب ويدنيها من الذوق الفرنسى. ولكن هذا كان يفتقر إلى الوحى الصادق والتعبير الصحيح ، فلا عجب إذا ظهرت هذه الناحية ضعيفة مبتذلة سقيمة .

وجاءت الجريدة أيضاً ببعض الاعلانات التى تهم قراءها ، مثل الاعلان المنتظم عن المجلة الأدبية التى يصدرها المجمع العلمى المصرى ، وإعلانات أخرى عن بعض الحيوانيت أو عن أشياء مفقودة أو عن حفلات ساهرة وغيرها . . . ومع ذلك فقد ظل هذا الباب ضيقاً وبقى عدد الاعلانات محدوداً طوال مدة ظهور الصحيفة .

هذه بعض النواحى التى اهتمت بها الصحيفة الفرنسية الأخبارية السياسية الأولى التى ظهرت فى مصر ، ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر لكى نعطى صورة واضحة لها بقدر المستطاع .

وقد أشرف على تحريرها تباعاً المواطن كوستاز Costas ثم المواطن فوريه Fovrier ثم المواطن الدكتور ديجنت Desgenettes وقد صدر منها ستة عشر ومائة عدد يحمل الأخير تاريخ ٩ بونية سنة ١٨٠١ .

وطبعت الأعداد الثلاثون الأولى فى مطبعة مارك أوريل Mark Aurel أما الأعداد الأخرى فقد قامت بطبعها المطبعة التى أحضرها نابليون . وكانت لغتها بسيطة يتخللها الكثير من الأخطاء المطبعية وبعض الغلطات اللغوية . وقد لاقت رواجاً كبيراً بين المواطنين لأنها حملت لهم أخبار إخوانهم فى البلاد الأخرى وأنباء فرنسا موطنهم الأصلى .

وفى أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ صدر العدد الأول من La Decade Egyptienne أى العشرية المصرية وهى أول مجلة فرنسية أدبية علمية اقتصادية تظهر فى مصر ، وقد تقرر انشاؤها فى أول اجتماع للمعهد العلمى المصرى حتى تكون سجلا له تنشر فيه بحوث علمائه وتقارير أعضائه .

وقد جمعت الأعداد التسعة الأولى ، التى ظهرت بانتظام مرة كل عشرة أيام ، فى مجلد أهدى إلى نابليون

وما كانت تتحدث عنه بحيرة المنزلة ووادى النطرون . وحلل رنيو Régnault غرين النيل ووصف فوريه Foureir الواحات ودرس تاليان Tallien نظام الحكم فى مصر قبل الحملة ، وأبان طرق جباية الأموال الأميرية ، وتحدث عن نظام الأوقاف .

وقد كتب علماء البلاد هذه التقارير باللغتين الفرنسية والعربية . .

وكان للترجمة شأن ملحوظ فى « لاديكاد » ؛ إذ نقل المستشرق حنا يوسف مارسيل Jean Joseph Marcel إلى الفرنسية شعراً. وكانت ترجمته صحيحة ماعدا بعض الألفاظ والعبارات التى اضطر إلى إضافتها لتكوين الشعر ، كما ترجم أمثال لقمان الحكيم وشرح قيمتها عند الشرقيين مستشهداً ببعض الآيات القرآنية مثل : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » .

والخلاصة أنه يمكننا أن نقول إن مجلة « لاديكاد » كانت سجلا قيما يرجع إليه الناس إذا أرادوا أن يطلعوا على مختلف الموضوعات الشائقة التى شغلت نخبة مختارة من العلماء الفرنسيين الذين أقاموا فى مصر من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١ .

وبانتهاء الحملة الفرنسية خلت مصر من الطباعة والصحافة . ولكن لا يمكننا أن ننكر أثر « لوكوريبه » و« لاديكاد » فى تاريخ بلادنا ومع أن المصريين كانوا يجهلون اللغة الفرنسية فى ذلك العصر ، فان انتشار هاتين الجريدتين بين العامة والخاصة من الفرنسيين ، قد وجه نظرهم إلى تلك القوة الجديدة التى يمكن الانتفاع بها للصالح العام .

فى عهد محمد على

صدر جرنال الخديو فى ١٨٢٢ ، وفى السنة نفسها الوقائع المصرية

فالجريدة العسكرية ، وفى ١٨٣٣ جريدة لومنيتو اجبسيان بالفرنسية وفى ١٨٤٦ جريدة لسبيتاتورى جبسيانو بالايطالية .

فى عهد اسماعيل

وانقضت بعد إنشاء (الوقائع المصرية) خمس وثلاثون سنة لم يبعث فيها وجود هذه الجريدة الرسمية فى نفوس المصريين رغبة فى إصـــدار جريدة أهلية . وجاء عهد الخديو اسماعيل فتحركت بتشجيعه هذه الرغبة فى النفوس فظهرت مجلة « اليعسوب » فى سنة ١٨٦٥ وكانت طبية أنشأها الدكتور محمد على البقلى باشا وابراهيم الدسوقى ، وتلتها فى سنة ١٨٦٧ أول جريدة سياسية هى « وادى النيل » لمنشئها عبد الله أبو السعود افندى وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع

ثم جريدة (نزهة الأفكار) فى سنة ١٨٦٩ لمنشئيها ابراهيم بك المويلحى ومحمد بك عثمان جلال .

ثم مجلة (روضة المدارس) فى سنة ١٨٧٠ أنشأها على مبارك باشا حينما كان وزيرا للمعارف . وكانت الحكومة تتولى الانفاق عليها . وكان يتولى التحرير فيها كثير من الأعلام منهم على مبارك باشا وعبد الله فكرى باشا والشيخ حسونه النواوى والشيخ حسين المرصفى ورفاعه بك رافع ومحمود باشا الفلكى ومحمد قدرى باشا والشيخ حمزه فتح الله .

وفى سنة ١٨٧٧ ظهرت جريدة « الوطن » لصاحبها جندى ابراهيم بك ثم جريدة (مصر) لصاحبها تادرس شنوده المنقبادى بك وكان السيد جمال الدين الأفغانى يكتب فيهما بعض رسائله .

ويطول الشرح اذا نحن أردنا أن نذكر جميع الجرائد التى صدرت فى عهد اسماعيل فنكتفى بان نذكر منها جريدة « الكوكب الشرقى » لسليم باشا الحموى وجريدة « الأهرام » لمؤسسها سليم بك تقلا وقد صدرت فى سنة ١٨٧٥ فى الأسكندرية وكانت فى أول ظهورها أسبوعية ثم صدرت بجانبها جريدة « صدى الأهرام » يومية ، ثم عطلت هذه وبقيت « الأهرام » وانتقلت بعد الثورة العرابية الى القاهرة ، وهى تصدر الى اليوم .

ونذكر أيضا جريدة « أبو نضارة » وقد صدرت فى سنة ١٨٧٧ لصاحبها الشيخ يعقوب صنوع المصرى الاسرائيلى . وهى أول جريدة سياسية هزلية مصورة وسنتحدث عنها بعد

وفى عدد من جريدة « صدى الأهرام » فى سنة ١٨٧٨ ، وعدد آخر من جريدة « الوطن » فى سنة ١٨٨٨ ونجد مجالا واسعا لمن يريد أن يقارن هذه الصحائف الأربع الضئيلة بالصحائف الاثنتى عشرة أو الست عشرة التى تصدر فيها الصحف اليوم ليعرف أى تقدم تقدمته الصحف المصرية ولا سيما فى السنين الأخيرة حتى صارت أعظم

الصحف فى الشرق القريب بعد أن كانت الصحف التركية هى التى لها هذه المنزلة فيه .

ونظرة سريعة فى هذين العددين ترينا .

أولا — انه كان من المألوف أن تنشر المقالات الافتتاحية والمقالات غير الافتتاحية بغير عنوانات . ولهذا كان على القارىء أن يقرأ المقالة ليعرف موضوعها . أما الآن فما على القارىء إلا أن يقرأ العنوانات ليعرف الموضوعات ويعرف ما يهمه وما لا يهمه منها

ثانيا — أن ثلاثة أرباع الجريدة على الأقل خاص بأخبار خارجية والربع الباقى فقط هو الخاص ببلاغات الحكومة وبأخبار مصرية . ولعل السبب فى ذلك أن الأخبار الخارجية تنقل من جرائد أجنبية أما الأخبار المصرية فتحتاج الى مخبرين ومحررين

ثالثا — ان بعض الصحف كان يلجأ الى السجع فى الكتابة فكان من أجل ذلك يستخدم تعبيرات لا نستطيع نحن الآن أن نقرأها من غير أن نبتسم .

فهذه مثلا جريدة نشرت قصيدة فى مدح رياض باشا جعلت عنوانها :

« دولتو رياض باشا بلغه الله ماشا »

ومنذ ٢٥ سنة فقط كان هذا النوع من الكتابة لا يزال سائغا فى بيئة الصحف اليومية الجدية . فقد أرادت صحيفة أن تنتقد قاضيا

من قضاة محاكم الاخطاط فكتبت فى ذلك كلمة جعلت عنوانها : قاضى خط باط فى الخط ، وأقول مرة أخرى إن هذه الجريده لم تكن هزلية بل كانت جدية ويومية .

ودارت فى حرب البلقان فى سنة ١٩١١ معركة فى بلدة تسمى قطية فكتبت تلك الجريدة نفسها مقالا عن هذه المعركة جعلت عنوانه « معركة قطية وما جرى للترك يا عنيه » .

وأرادت هذه الجريدة أيضا أن تمتدح مشروعا نافعا من مشروعات الحكومة فجعلت عنوان ما كتبته فى ذلك « كالك منافع ياتوم »

وصدر قانون للدمغة فشكا منه الصاغة فكتبت : « عريضة الصاغة بعد تلك الفاغة » وكتبت عن البترول « كيف يحل ويزول مشكل البترول » .

وهناك من أمثال هذا كثير .

وفى القصيدة التى نشرتها جريدة الوطن فى سنة ١٨٨٨ فى مدح رياض باشا :

قال الشاعر :

ياهنا مصر سناها فى الدجى ضا

واليها الأنس والاسعاد آضا

بر ياض العدل فيها العز يزكو

بل ويكفى أن للعدل رياضا

على أن أول مايلاحظه الباحث أن خمسا وثلاثين سنة انقضت على وجود « الوقائع المصرية » حتى وجدت أول جريدة أهلية ثم توالى صدور أكثر من خمس عشرة جريدة بين سياسية وأدبية وفكاهية فى المدة من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٧ . وذلك مع أن المدارس كانت قد فتحت أبوابها للتعليم الحديث منذ عهد محمد على الكبير ، والبعثات المصرية الى أوربا كانت قد توالت منذ عهده أيضا ، فأخرجت لمصر علماء شاهدوا الصحافة فى أوربا وعرفوا قيمتها فى تربية الجمهور ولكن تفسير هذا الجمود سهل وهو يرجع إلى أمرين : الأول أنه كان من الضرورى بعد فتح المدارس وبعث البعثات إلى أوربا أن يمضى زمن كاف لتربية نشأة حديثة تعيش الصحف من اقبالها عليها ، والثانى أن المدة ما بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٨٧ فيها حركة فكرية اتصلت بالحركة الأولى فقويت الحاجة إلى الصحافة وظهر حينئذ عبدالله النديم بجريدته « التنكيت والتبكيت » ثم بجريدته « الطائف » فقربت نظارة ذلك العهد جريدته هذه الأخيرة حتى قررت أن تخصها بتدوين أعمال مجالس النواب دون الوقائع المصرية .

وخمدت الحركة الفكرية بعض الشيء على أثر النتيجة التي انتهت اليها الحوادث العرابية ، ولكن هذا الخمود لم يكن إلا وقتيا ، لأنها عادت بعد سنوات قليلة فهبت من مرقدها ، وهبت الصحافة معها . وكانت هبة الصحافة في هذه المرة أشد قوة وأوسع ميدانا . وكان من رجالها والمغفور له السيد علي يوسف باشا شيخ الصحافة الأول صاحب المؤيد . أول صحيفة يومية سياسية مصرية صميمة ، ومصطفى كامل باشا صاحب اللواء . وأحمد لطفي السيد باشا مدير الجريدة . والمرحومون محمد بك فريد والشيخ عبدالعزيز جاويش مديرا اللواء فالشعب . وسليم بك تقلا صاحب الأهرام . والدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم . والدكتور يعقوب صروف أحد أصحاب المقتطف . وجورجي بك زيدان صاحب الهلال .

وكانت لكل واحد من هؤلاء الرجال آراء يخالف فيها الآخر ، وليس المقام مقام استعراض هذه الآراء ، ولكني أقول إن المناقشة الحادة والتي كانت تصل في كثير من الأحيان إلى أقصى حدود العنف بين هؤلاء الرجال وصحفهم ، هي التي ساعدت في وقتها على تكوين الرأي العام ، وساعدت في الوقت نفسه على أن تخطو الصحافة خطوة جديدة في سيرها إلى الأمام .

وجاءت بعد هذا الحركة الفكرية القوية التي هبت في سنة ١٩١٨

والسنين التى تلتها فخطت الصحافة خطوة أخرى ، بل خطوات ، وظهرت قوتها جلية فى توجيه الرأى العام ، وفى زيادة عدد الصحف وعدد قرائها وتنوعها وسبقها للصحف الأوروبيه عدا انجلترا وأمريكا .

الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية

عرفت مصر منذ القرن الماضى، الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية مقتبسة ذلك عن الصحف الأجنبية ، وبخاصة الفرنسية .

ومن أوائل ماصدر فى هذا الصدد ، جريدة « أبو نظارة » التى وسعت شهرتها — البلاد التركية والفارسية — إلى جانب مصر وجاراتها العربية . كانت جريدة الخاصة والعامة ، وكانت روحها مصرية بلدية حرة . أنشأها يعقوب رفائيل صنوع الصحفى اليهودى الهزلى بالاشارة الى نضارته الزرقاء التى سماه العامة بها ، وكان مدرسا للموسيقى والرسم واللغتين الايطالية والفرنسيه . وكان ممثلا ، وكان ممن يحضرون مجالس السيد جمال الدين الأفغانى .

وكان صاحب أسلوب ونكتة ونقد لاذع صريح مرير . وكان يصدرها فى أربع صفحات حافلة بالأدب الرفيع والوضيع والأزجال والمحاورات والمداورات ، وبرسوم المحرر نفسه إذ تعلم التصوير والرسم فى إيطاليا .

وكان يترجم بعض نكاته المصرية الى الفرنسية .

ولغلوه فى النقد والتجريح لكبار رجال الدولة والأجانب ، صادرت الحكومة جريدته ونفته الى باريس ، وهناك لبث يوالى

صدورها إلى ١٩١٢ . أى ٣٤ سنة ، أى الى وفاته . وكان دخولها مصر عنوعا فكانت تدخلها باسم « أبو زمارة » ثم باسم « أبو صفارة » ثم « الحاوى » أما مبدؤها فهو « الحاوى الكارى ، اللى يطلع من البحر الداوى ، عجايب النكت للكسلان والغاوى ، ويرمى الغشاش فى الجب الهاوى »

وعرفت مصر «حمارة منيتى» والسيف والمسامير ، والمسامرات ، وخيال الظل ، والكشكول ، والمسرح ، وروز اليوسف ، وآخر ساعة ، والصحف الأخيرة صحف صدرت فى أول أمرها كاريكاتيرية تناقد جريئه .

أما الصور الهزلية فكانت معروفة من عهد فراعنة المصريين ، أى قبل ثلاثة آلاف سنة . فقد عنى قدماء المصريين بتصوير الحالات النفسية ، ولقد صوروا « ست » فى صورة وحش وسموه ، « ست الملعون » لأنه قتل أخاه أوزيس وألقى بجثته فى النيل كما قتل أخته ومثل بجثتها شر تمثيل ، كما صوروا أوزيس فى صورة (قطة) .

وتفنن قدماء المصريين فى تصوير عظمائهم بأوجه حيوانات صغيرة وكبيرة جميلة وقبيحة بحسب اخلاقهم وميولهم وطباعهم ونفسياتهم

وكانت صور قدماء المصريين حافلة بالتشنيع على رجال الكهنوت كما امتازت بتصوير الأسرى وتصوير نفسياتهم على

وجوههم . ومعبد (أبو سنبل) بين أسوان ووادى حلفا يحتوى من جانبيه على صور كاريكاتورية مدهشة يقول الفنيون إن الهزل فيها وخاصة فى إبراز الشفاه والأنوف والسكآبة من ابدع ما وفق اليه الكاريكاتيريون .

وكان قدماء المصريين يمثلون - بالتصوير الهزلى - الموت والميزان والصراط ومن ثقلت موازينه ومن خفت ولا تزال هذه الصور فى معابدهم .

وأخذ الأغريق فن التصوير الهزلى عن قدماء المصريين فاستعملوه - أولا - فى الآثار والأنتيكات ، واستعملوه كثيرا فى التشنيع على الآلهة ، وعلت فى هذا شهرة مصورهم انتفيل الذى خلق من خياله شخصا جعله رمزا ثابتا سماه (جول ليس) أى (خنزير) كما هو الحال فى شخص جحا وجون بول !!

ويقال إن الفرس كانوا قبل ألف سنة يجعلون صورا هزلية على الأمتعة الخزفية والمنسوجات ، ولكن لم يبق منها شىء يدل على الصور الكاريكاتورية فى ذلك الزمن ، ولم يحدثنا العرب عن غير صور قصور الملوك ، كما أن الصور الكاريكاتوريه كانت على أمتعة الشعب الرومانى ولكنها ذهبت لأن الرومانيين والاغريق لم يحافظوا إلا على الصور الدينية والتاريخية العليا ، ولم تكن لهم صحافة تبقى

مجاميعها للاجيال المتعاقبة ، وفى وصف تلك الأمتعة يقول عبده ابن الطبيب .

حتى انكأنا على فرش يزينهـــا

من جيـــد الرقم أزواج تهاويل

فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة

من كل شيء يرى فيها تماثيـــل

وليس فى وسعنا الرجوع إلى الكتب العربية من مؤلفات القدماء . وهذه الكتب العربية لم تعرف الا فى زمن الاسلام وكان المسلمون يحرمون التصوير لأنه يذكر الناس بالوثنية ، ولو لم يكن معروفا فى الجاهلية ماتهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولكن العرب لم يعدموا وسيلة للتعبير عن أفكارهم الكاريكاتورية بالكتابة فى النثر والنظم كقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولو كان هذا مصورا ، أو لو أن مصورا رسم رجلا على هيئة وعل يناطح صخرة فخرم احد قرنيه لكانت من أجمل الصور ولا سيما

حين يكون الرجل المرسوم من عظماء القوم (١) .

وفى ديوان الحماسة الذى جمعه أبو تمام فى شعر الجاهلية والاسلام باب للهجاء فيه أعاجيب الخيالات التى لو صورت لكانت من ابدع التحف ، وهل صورة كاريكاتورية أدعى للضحك مما فى قول القائل

* * * * * * *

الأنف بالعرض والعينان بالطول

وفى غير الحماسة من كتب الأدب كثير لا يحصى ، نذكر منه قول حماد عجرد فى بشار

* * * * * فكأنه

قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول جرير فى أحد الشعراء يضعه بين أمه وأبيه .

. . . . . .

فالجحش بين حمارة وحمار

وقوله فى هجاء بنى تغلب قوم الاخطل

وإذا وضعت أباك فى ميزانهم

قفزت حديدته اليك فعالا

---

(١) المحاضرات الصحفية فى ٩٣٦

ومن الصور البديعة ماوصف به ابن الرومي رجلا أحدب قال :
قصرت أخادعه وطال قذاله

فكأنه متربص أن يصعفا

وكأنما قد ذاق أول صفعة

وأحس ثانية لها فتجمعا

ومن الملوك والحكام من أحب التصوير الكاريكاتيرى ومنهم من غضب عليه ، كلويس السادس عشر . وفى ايطاليا برع الرسامون الكاريكاتيريون وفى انجلترا تجد رسوم الكاريكاتورى هوجارت رواجا كبيراً . وبدأ الكاريكاتيرى فى أمريكا : هون آرت .

صحفيو الرعيل الأول

كان بين صحفي الرعيل الأول فى مصر ، نفر من « كتبة الغرائض » وصغار الأزهريين الذين تركوا الأزهر والعلم فى سبيل الرزق ، فكانوا يسودون الصفحات ، ويكتبون الغث والسمين ، والحق والهراء ، وكان أجرهم على هذا قروشا أو مليمات .

ولهم نظائر فى أوربا ذاتها . ففى فرنسا قالوا إن القصصى الكبير اسكندر ديماس كان يدير معملا لصنع الروايات . مستخدما فيه شبانا يعهد اليهم ديماس فى إعداد « البضاعة » التاريخية ، وفى إيطاليا نفر من هـــذا الصنف . وقد عرفت مصر فيمن عرفت الشيخ الشربتلى الذى ظل اسمه يرن فى جوانب المجتمع القديم زهاء ربع قرن ككاتب لبق وصحفى قدير له مكانته وله رشاقة أسلوبه وتبويبه فقد كان يشرف على تحرير ماينوف على عشر صحف ما بين يومية وأسبوعية ، وكانت قهوة (العلم) بميدان باب الخلق فى ذلك الحين مجتمع كتاب مصر وصحفييها وكان الشيخ الشربتلى يتخذها مكانه المختار ، فتجده هناك منذ الصباح الباكر يحمل تحت إبطه محبرته النحاسية وأوراق تحريره وأقلامه فى انتظار أصحاب الصحف

وكانت طريقة اتفاقهم معه من أضحكه مايروى ، إذ كان يبادر بسؤال محدثه عن نوع الكتابة التى يريدها ، هل هى من النوع العادى أم المتوسط أم الفاخر ؟

أما الأول فمن نوع وأسلوب المؤيد واللواء وهذا ثمن تحريره خمسة قروش للعمود الواحد . والثانى من أسلوب المرحوم الامام الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكرى وهذا بعشرة قروش . أما النوع الفاخر فيشبه كتابات الجاحظ والهمذانى وهذا لا يقبل التحرير به الا بخمسة عشر قرشاً .

ومن الفكاهات المستملحة عنه انه كتب ما ينوف عن عشر مقالات عن (السرطان السياسى) كان يتحدث فيها عن مجاهل أفريقيا وعادات سكانها وعن الهنود الحمر وشذوذ طباعهم فكان يلفق الحوادث ويرتب وقائعها ترتيبا قصصيا حتى أنه يخيل اليك أنه زار هذه المناطق ودرسها دراسة وافية .

واحتاج فى ذات يوم لأن يملأ نهراً من صحيفة يومية كان يحررها فبدأ يكتب خبر حريق حدث فى جهة كذا وبالغ فى الوصف وتقدير الخسائر وأثنى على رجال البوليس والمطافىء فى مكافحة النيران وبعد أن جمع المقال عاد عمال المطبعة يلحون عليه فى تكملة أسطر العمود . فأتمه على الوجه التالى :

وبعد كتابة ما تقدم أبلغنا أنه لا صحة لما ذكرنا . فحمدا لله على أنه لطف بعباده .

السجع فى الصحف

لما كان « السجع » هو اللون الأدبى السائد فى المقالات والمؤلفات الأدبية ، الى أوائل القرن الحالى ، فقد انتقل السجع إلى الصحافة فعمدت معظم الصحف إلى اختيار العناوين « المسجوعة » لا لمقالاتها الأدبية بل للسياسة وأخبار الأقاليم والدواوين . من ذلك أن طلبة كلية الحقوق أضربوا عن الدراسة فى إحدى المناسبات فنشرت إحدى الصحف الخبر تحت عنوان : « التمرد والعقوق بين طلبة الحقوق »

ووقعت بعض جرائم فى بنها ، فصارت إحدى الصحف تنشرها تحت عنوان : « الفوضى والخلل ، فى بنها العسل » ! .

وحدث أن تكاثرت حوادث الاصطدام بمركبات الترام ، فنشر الخبر بعنوان : جاى . . . جاى من حوادث الترامواى » ! ..

وكانت احدى الصحف تنشر أخبار « الباب العالى » أى أخبار

سراى يلدز ، وذلك قبل تحرر مصر من النفوذ التركى فصارت تنشر الأخبار تحت عنوان : « الجواهر واللآلى فى أخبار الباب العالى » !

وعتبت إحدى الصحف على زميله لها لأنها لم تجاملها فى مناسبة ما ، فكتبت مقالا بعنوان : « الليالى من الزمان حبالى ، أين ذهبت حقوق الزمالة » ! . .

أما المؤلفات الأدبية ، فكان يتحتم على مؤلفها أن يختار لها عنوانا « مسجوعا » والا سقطت قيمتها فى نظر « الكتبى » الذى يبيعها ، فيمتنع عن عرضها !

ولذلك كانت معظم الكتب التى أصدرتها المطابع فى ذلك الحين ، تحمل عناوين مسجوعة تنطوى على مفارقات طريفة . . . وبخاصة إذا أراد المؤلف اختيار عنوان لكتابه ، يدمج فيه اسمه كمؤلف ، كما حدث للأديب المعروف « فارس الشدياق » الذى لم يجد عنوانا لكتابه يتفق مع اسمه سوى : « الساق على الساق ، فيما هو الفارياق ، لفارس الشدياق » . . .

واختار مؤلف آخر لكتيب صغير أصدره عنوان : « صيحة الديك ، للسيد عبد اللطيف أبى فريك » . . . وأغلب الظن أن المؤلف ، لو كان يلقب باسم آخر ، لجاء كتابه بعنوان آخر ! . . .

ويضيق بنا المقام إذا ذكرنا ما تعيه التذاكرة من أسماء أمثال هذه العناوين، ويكفي أن يعرف القراء أن في دار الكتب المصرية وحدها نحو ١٢٠ الف كتاب جميع عناوينها مسجوعة .

عصر المبارزات والصحافة

رافق عصر المبارزات ، أو عصر الفروسية الفردية ، عصر الصحافة ، فاذا نشر كاتب مقالا في أوربا ، طلب المعتدى عليه في في المقال ، مبارزة خصمه . وقد حدث في سنة ١٩٠٧ أن نشرت صحف باريس ، التي كانت تعنى عناية خاصة بحوادث المبارزات ، خبراً عن مصر، وضعت له عناوين مثيرة كهذا العنوان : «مبارزة على الطريقة الباريسية في القاهرة ! » وكان بطلا هذا الحادث في مصر « مستر رودى » الصحفي الأيرلندى ، ونشأت بك . أما الأول فكان يحرر بجريدة اللواء الانجليزية التي كانت تصدر باسم « اجبشيان ستاندارد » وكان يحمل حملات شعواء ليس فقط على الانجليز بل أيضا على لفيف من المصريين . وأما « نشأت بك » فهو الآن حسن نشأت باشا ، الغنى عن التعريف . وقد تبادل الخصمان رصاصتين فلم يصب

أحدهما الآخر ، والصحف الباريسية التى نشرت الخبر بكثير من التفاصيل ، أسفت لأن هذه المبارزة انتهت على هذا الشكل السليم !

وبعد الثورة المصرية التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ، صدرت فى مصر جرائد عديدة باللغة الفرنسية ، بينها جريدة « لسبوار » لسان حال الوفد المصرى . وكانت تظهر فيها مقالات بتوقيع مستعار ونشرت مقالة ذات مرة عدها الصحفى الفرنسى « بوندفو » محرر « جرنال دى كير » مهينة له ، فدعا للمبارزة صاحب التوقيع المستعار ، وبرز الأستاذ دومانى قائلا إنه يحل محل الكاتب المجهول الذى لايريد أن يظهر شخصيته ، وكان هو صاحب تلك المقالات وصاحب التوقيع المستعار . واختار الأستاذ دومانى شاهديه وهما الأستاذ « جوزى كانرى » صاحب مجلة « ليجبت نوفيل » والأستاذ حبيب جاماتى ، فاجتمعا بشاهدى الصحفى بوندفو ، وهما الأستاذ « بيزيا » المدرس بمدارس الحكومة المصرية ، وشخص آخر غاب عنا اسمه . وتم الاتفاق على أن تكون المبارزة بالسيف . ولكن « أولاد الحلال » تدخلوا فى الأمر — كما هدد البوليس بالتدخل فيه — وتم الصلح بين الخصمين على يد الشهود .

ولم يكن الأستاذ كانرى ، أحد شاهدى الأستاذ دومانى ، حديث العهد بحوادث المبارزة ، فقد نشب خلاف صحفى بينه وبين

الأستاذ « ليون كاسترو » صاحب جريدة « لاليبرتيه » فى ذلك الوقت أيضا ، فدعاه الى المبارزة ، والتقى الخصمان فى صحراء مصر الجديدة ، وأصيب الأستاذ كاسترو بجرح فى ذراعه اليمنى ، وسلم الشرف الرفيع من الأذى !

عزومة

فى خلال الثورة المصرية ، قامت بعض السيدات بالاحتجاج لدى دار « المندوب السامى على اعتقال الزعماء ولم يرق اشتراك المرأة فى الحركة السياسية أحد أصحاب المجلات المصورة فكتب مقالا ملأه بالطعن والسخرية و « التنكيت » . .

وثار أحد الشبان ، من أقارب إحدى السيدات اللاتى جاء ذكرهن فى المقال ، وكان على معرفة وثيقة بصاحب المجلة ، فدعاه الى تناول الشاى بمحل « صولت » — وكان إذ ذاك بجوار مبنى شيكوريل — ولبى الصحفى الدعوة ، ولكنه لم يكد يبدأ بتناول الشاى ، حتى انهال عليه الشاب ضربا ولو لم يخف لانقاذه بعض الحاضرين ، لقضى عليه !.

زيارة

وحدث أن تناول أحد الصحفيين ، كبيرا معروفا ، وأخذ عليه اشتراكه فى بعض الحركات السياسية ، ثم تتابعت حملاته عليه بما يليق ، وبما لا يليق . .

وأشار بعض كبار المحامين على « الكبير » أن يلجأ إلى القضاء ولكنه رفض ، وأبى الا أن يأخذ ثأره بيده .

وفى ذات يوم قصد الكبير الى ادارة الجريدة واقتحم مكتب المحرر الذى هب للقائه مرحبا وقد توهم انه جاء ليسترضيه ، وإذا بالكبير يخرج من معطفه « كرباجا » وينهال به على الصحفى ، ولم يتركه الا بعد أن أشبعه ضربا . . ثم غادر دار الجريدة دون أن يجسر أحد على التعرض له . . . ومن ذلك الوقت كف الصحفى عن التعرض للكبير بالخير أو الشر . . . !

نكتة قاتلة

وعرف أحد محررى الصحف الهزلية ، التى كانت كثيرة العدد فى ذلك الحين ، بشدة وطأته على بعض الأعيان المعروفين ، وتناول أدق شؤونهم الخاصة فى معرض التنكيت .

وحدث أن كتب « نكتة » جارحة ماسة بكرامة أحد أعيان

الصعيد ، ولم تمض أيام حتى تربص أحد « الفتوات » للصحفى ، وفاجأه بضربة قاضية على رأسه ، فشجها وسقط جثة هامدة ، وقد اعتقل القاتل والوجيه الذى اتهم بتحريضه ، وقضى على الأول بالاعدام وعلى الثانى بالأشغال الشاقة ١٥ سنة . . .

حصار

وعمد أحد أصحاب الصحف الهزلية إلى « التنكيت » على شاب من أهالى الأسكندرية ، هو نجل صاحب إحدى شركات النقل .

وحدث أن سافر صاحب الجريدة إلى الاسكندرية ونزل فى أحد الفنادق وعلم الشاب بنبأ وصوله ، وفى ذات ليلة حاصر الفندق زهاء ثلاثمائة عامـــل تسلحوا بالهراوات ، وطالبوا بتسليم الصحفى اليهم . . .

وخشى صاحب الفندق مغبة الأمر ، فأوعز إلى الصحفى أن يهرب من سطح الفندق إلى سطح المنزل المجاور ، وبهذه الوسيلة نجا من موت محقق ، وعاد إلى القاهرة فى أول قطار . . .

مقلب

وحدث أن منح أحد الوجهاء رتبة « الباشوية » فانتهز أحد

أصحاب الصحف الهزلية ، هذه الفرصة ، ونشر للوجيه صورة كبيرة ومعها مقال كله مديح واطراء فى شخصه الكريم ، وذلك ليظفر منه باشتراك كان الصحفى يقدره بخمسين جنيها على الاقل

وعمد أحد المحررين الخبثاء إلى تغيير المقال ، بمقال آخر كله هجو وسب وتشنيع ، وطبع المقال مع الصورة دون أن يدرى صاحب الجريدة شيئا ، اذ كان قلما يهتم بمطالعة جريدته . . .

ولم يكد ينتهى طبع العدد ، حتى هرع صاحب الجريدة إلى دار الوجيه ومعه خمس نسخ أوفدها اليه مع بعض الخدم وجلس فى الصالون يترقب الجزاء . . . ولم يطل انتظاره . . . فقد دهمه أربعة من الخدم الاشداء وأوسعوه ضربا وتهشيما وألقوا به فى الطريق . . .

فى عماد الدين

وعند ما بدأت النهضة التمثيلية وامتلأ شارع عماد الدين بالفرق التمثيلية والغنائية وغيرها ، قامت المعارك الطاحنة بين النقاد والفنانين والفنانات . . .

فكلما قسا أحد النقاد على ممثلة أو راقصة أو مطربة ... عمدت إلى استئجار أحد « البلطجية » فيوسع الناقد ضربا حتى اضطر بعض

النقاد إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم . . . على أن بعض الفنانات كن يأخذن ثأرهن بأيديهن ، دون حاجة إلى استئجار « البلطجية » أو الفتوات . . . من ذلك أن فنانة معروفة ، فاجأت أحد النقاد وهو يجلس فى « قهوة الفن » بقولها :

ـ أنا جايبه لك هدية يا أستاذ ، ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها « فردة حذاء » وانهالت بها عليه .

عريان افندى

وهاجم أحد النقاد راقصة أجنبية ، واشتدت وطأة حملته عليها فدبرت له مكيدة ؛ واستدرجته إلى الصاله التى تعمل بها ، حتى إذا أخذ مكانه ، أحاطت به مع بعض زميلاتها ومزقن ملابسه حتى خرج من الصالة شبه عار . . وقد عرف بين الزملاء فيما بعد باسم « عريان افندى » ! . .

هجوم

وعرف أحد النقاد بصداقته لفنانة كبيرة ، غير انهما اختلفا ، وإذا بالناقد يهاجمها فى مجلته مهاجمة مقذعة بعد أن كان يرفعها بكتاباته إلى السماء السابعة .

وفى ذات يوم ، بينما كان الناقد يسير فى الطريق ، إذا بالفنانة تخلع حذاءها وتهب للقائه ، فهرب منها ، لكنها ركضت خلفه حتى أدركته أمام قسم الأزبكية وأعملت فيه حذاءها . .

وقد رفع الناقد « المضروب » قضية على الفنانة ، لكن المحكمة قضت ببراءتها إذ أعدت ضربها للناقد من باب الدفاع عن النفس

صفحات من الحوار السياسى

نذكر من ذلك أنه فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ صدر الدستور المصرى فى عهد وزارة يحيى ابراهيم باشا . وأخذت البلاد تستعد لاجراء الانتخابات لأول مجلس نيابى فى تاريخها الحديث .

وقد تمت هذه الانتخابات وعقد البرلمان المصرى طبقا للدستور الجديد لأول مرة فى يوم السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ . وكانت معركة الانتخابات حامية . وكانت الخصومة شديدة قبيل المعركة الانتخابية بين سعد زغلول باشا وعبدالخالق ثروت باشا . فوجه ثروت باشا كتابا إلى سعد باشا فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ، استهله بالعبارة الآتية :

« السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فما زلتم بعد عودتكم إلى مصر توجهون المطاعن القاسية إلى شخص تعلمون فيما بينكم وبين أنفسكم

وبينكم وبين ربكم من وطنيته ماتعلمون . لستم فرداً عاديا فتسوغ له الخصومة ماتسوغه لغير المسئولين . فلقد رأيتكم منذ عودتكم لاترون شيئا مما جرى فى غيبتكم يستحق الرضا ويوجب الاغتباط »

وبعد أن استعرض ثروت باشا الكثير من المواقف السياسية التى وقفها لخير البلاد ومنهـــا موقفه فى الحصول على تصريح ٢٨ فبراير قال :

« لا أخالكم نسيتم زيارتكم لى بمنزلى مع زملائكم أعضاء الوفد إثر قبول استقاله رشدى باشا واعتذارى النهائى لجلالة الملك عن عدم قبول الوزارة ما لم يؤذن للوفد بالسفر الى الخارج ، وما وجهتموه لى إذ ذاك من عبارات التقدير والثناء » .

إلى أن قال : « نحن الآن أحوج مانكون إلى أن يقف الزعماء فى هذه البلاد المغلوبة على أمرها من قادتها قبل خصومها ، موقف الناصح ، فكفانا تناحراً ، وكفانا تهاتراً .

« لقد اعتذرت لكثيرين من دعوتى للخطابة رغبة فى المحافظة على بقية وحدة تفككت وتجنبا لزيادة الفتنة والانقسام »

« وإن عجبت لشىء ، فعجب أن أراكم — ولم أنافسكم المجد يوما من الأيام — تجعلون همكم أن تنالوا من وطنيتى . وما كنت إلا جنديا من جنود الوطن . لم أقصد إلا للعمل لخالص خدمة بلادى

غير متطلع من وراء ذلك إلى مجد أناله أو فخار أكتسبه . ولقد طالما صرحت بأن لا فضل لى فيما أستوجب عليه شكراً أو جزاء ، وإنما يرجع الفضل فيه الى توفيق الله تعالى ، وتعضيد جلالة مليك البلاد واجتماع كلمة الأمة » .

وطلب ثروت باشا فى آخر كتابه أن يحتكم هو وسعد باشا فى أوجه الخلاف التى بينهما إلى مجلس من الأمراء يضمون اليه رؤساء الوزارات والوزراء السابقين وأعضاء الهيئات النيابية وغيرهم من أولى الرأى فى البلاد . يدلى فيه كل منهما بحجته ويبسط ما لديه من الأدلة والمستندات .

ثم قال : وانى لأرجو — وأنتم لا تريدون إلا خير البلاد — ألا تجدوا ما يمنعكم من قبول هذا الاقتراح الذى يمهد سبيل الوفاق والوئام ان شاء الله » .

رد سعد باشا

وقد رد سعد باشا على خطاب ثروت باشا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٣ . وجاء فى رده مايلى :

« حمل الى حضرة أمين بك واصف خطابا منكم تبرأون فيه من المطاعن التى وجهتها اليكم ؛ وتطلبون الاحتكام الى حضرات

أصحاب السمو الأمراء ومن يضمونهم من الوزراء السابقين وغيرهم من أهل الآراء . . . وأفيدكم أن الأمة تحت رياسة مليكها العادل بعد أن تليت أوراق اتهامكم ، واستجوبت شهود أفعالكم وأقوالكم وسمعت دفاعكم ودفاع أنصاركم حكمت ضدكم ، وأعلنت هذا الحكم فى جرائدها ومحافلها ، ثم نفذته باسقاطكم من الوزارة وإبعادكم عن النيابة ، فسقطتم من ذلك المنصب السامى ، وأبعدتم عن هذا الشرف الرفيع ، فلم يكن لى بعد هذا الحكم الصادر من مصدر كل سلطة تحت أسمى رئاسة ؛ أن أتنازل عنه لأقف معكم فى مستوى واحد ، وأصحاب السمو الأمراء أنفسهم يعرفون أن هذا القضاء فوق كل بحث وكل نقض وابرام .

ثم استطرد سعد باشا فقال : « ماأنت بزعيم فى الأمة ، ولا رئيس حزب فيها ، حتى تكون هناك أهمية لخلافك أو وفاقك . ولكنك فرد اختبرته السلطة الانجليزية فوجدت فيه آلة صالحة لترويج سياستها ضد بلاده فسلطته عليها فأذاقها عذاب الهون » .

وختم خطابه بما يلى .

« وأصبحت بعد ذلك فردا لا يهم منك الا التحذير من ماضيك والاعتبار بحاضرك والاحتياط لقابلك .

« أمامك المنابر العامة فأعلنها إن وجدت سميعا . والجرائد السيارة

فاكتب بها إن وجدت قارئا ، والنوادى الخاصة فتحدث اليها إن وجدت نصيرا .

« أما التحاكم إلى الأمراء : فشرف ، ولكن لايحوزه الا الاكفاء » .

تعليق الصحف على ما تقدم

وكتبت جريدة « السياسة » حينئذ تعلق على رد سعد باشا بقولها : « أدر نظرك إلى سعد وغلول يخاصمه عبدالخالق ثروت الى الأمراء من أهل البيت الحاكم فى مصر ليفصلوا بينهما فى أمور معينة فيتعالى سعد عن الخصومة » .

ثم قالت الجريدة فى فقرة أخرى : « وبعد ، فقد كان لسعد مندوحة عن أن يركب متن الحماقة والشطط وأن يدرع بهذه الدروع ، فقد كان يستطيع أن يجيب ثروت إلى ما طلب قاصراً استكباره على طالب الاحتكام . ولكن سعداً لايستطيع أن ينطق الا حمقاً ولن يستطيع أن يفاوض الا فى جريمة . ولن يستطيع أن يعتبر هذا البلد بما فيه الا موضعاً لغطرسته وكبريائه وفحشه وفجوره » .

وكتبت « البلاغ » بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩٢٤ مايلى : « يعرف صاحب الدولة عبدالخالق ثروت باشا أن الأمة مجتمعة تحت رئاسة جلالة

الملك حكمت عليه حكما لا يقبل النقض والابرام ، ولكنه حاول أن ينسى ذلك وأن يفر من هذا الحكم فكتب فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ خطابا إلى معالى الرئيس الجليل سعد باشا شحنه الأكاذيب والمغالطات ، وطلب فيه أن يحتكم معه إلى مجلس من الأمراء ورؤساء الوزارات والوزراء السابقين والهيئات النيابية وغيرهم من أولى الرأى ، أى أن ثروت باشا طلب حكما جديدا غير الحكم الذى أصدرته الأمة ووافق عليه جلالة الملك فنفذه ، وبديهى أنه ما كان لسعد باشا أن يجيبه إلى هذه الرغبة » .

وقالت الجريدة نفسها فى عدد آخر :

« فى أى شىء يريد ثروت باشا أن يحتكم إلى الأمراء والوزراء وممثلى الهيئات النيابية ؟ .. أفى اثتماره مع السلطة الانجليزية على نفى سعد وصحبه ، توطئة لمجهود آخر يبذل لايجاد العلاقات بين مصر وانجلترا . . أم فى خديعة الناس وكذبه على الجمهور ، إذ يعلن تارة أنه لا يؤلف وزارة . وتارة أخرى أن له شروطا فى تأليفها ، ثم يظهر أنه كاذب . أو يريد أن يحتكم فى خروجه على الاجماع مرة ثانية ، وإنكاره على الأمة حق وضع الدستور بواسطة جمعية وطنية تنتخبها الأمة انتخابا حراً ، وذهابه فى الانكار إلى حد اتهامها بالثورة بسبب هذا الطلب البرىء ؟ .

« حقاً إنه لغرور من ثروت باشا ، وحقاً إنه لم يكن لهـــذا الغرور إلا جواب واحد هو الاحتقار » .

خطبة صدقى باشا والتعليق عليها

وكانت المعركة الانتخابية لبرلمان سنة ١٩٢٤ على أشدها — كما قدمنا — وقد ألقى معالى اسماعيل صدقى باشا خطابا على المندوبين الثلاثينيين بدائرة سند بسط الانتخابية قال فيه :

« إنى أتقدم إلى البرلمان لأنى من صميم أهل المنطقة ، ولا أستند فى ترشيحى إلى مايسمونه بالتضحية ، لأننى أعتبر أن مقاعد البرلمان ليست بالجوائز أو المكافآت توزع على من ذاق الحبس والتشريد ، بل هى مراكز الحكم والرأى تصلح البلاد أو تتدهور بحسب من يشغلونها ، على أن الألم فى سبيل الوطن ليس من التضحية فى شىء إذا هو اقترن بارتياح الضمير وبشعور المرء أن عمله صادف تقديراً من أهل بلاده — وأن نفيه الى مالطة كان مثارا للذة معنوية كبرى .

« لقد تكلم سعد باشا كثيراً بشأن تصريح ٢٨ فبراير ،

ولكنه أهمل بعض الشيء المفيد فيه ، فماذا كان يريد معاليه أن نفعله بمصر بعد قطع المفاوضات وبعد نفيه ؟ ؟ أكان الواجب فى رأيه أن نلبس الحداد ، وأن نقبع فى دورنا انتظاراً للفرج ، إذ لا يصح ، والوكيل غائب ، أن يعمل أحد لاستقلال البلاد ، أو أن نعمل مستمرين فى الجهاد لخلاص البلاد » .

وقد ردت عليه جريدة « البلاغ » بمقال جاء فيه .

« أما صدقى باشا فقد حانت له فرصة الكلام يوم الثلاثاء الماضى أمام بعض أهالى الدائرة التى هو مرشح فيها فماذا قال ؟

« لم يكن فى استطاعته أن يفر من التهمة كما فر منها ثروت باشا لأنه متقدم للانتخابات ويجب عليه أن يسعى بكل الطرق لتبديد التهم التى تقوم ضده فى أذهان المندوبين ، وقد علم أنه اتهم بتهمة الوثيقة السرية ، وأن المندوبين الذين يخاطبهم عرفوا هذه التهمة واستبشعوها فليس يفيده أن يفر أمامهم منها ، وإنما يحتم عليه الواجب أن يقول لهم كلمته فيها ، وهذا هو الذى فعله » .

من الشيخ شاويش الى سعيد باشا

وكتب المرحوم الشيخ عبدالعزيز جاويش كتابا مفتوحا إلى المرحوم محمد سعيد باشا نشرته « الأهرام » فى ٩ يناير سنة ١٩٢٤ ،

وكانت معركة الانتخابات للبرلمان قد حمى وطيسها جاء فيه :

« تشهد الأمة فى هذه الأيام أعجوبة من أعاجيب التخاصم والتحاكم ، أردنا أن نتحاكم إلى المندوبين الثلاثينيين فكان مثلنا فى ذلك مثل خصمين عمد كل منهما إلى محكمة خاصة به ثم سرد عليها ماشاء من مدعياته وأدلته ، يرمى خصمه بما وسعته جعبته من سهام التهم والمثالب ، ثم يريد كل منا مع ذلك أن يحق له القول على خصمه ولم يضمهما بعد مجلس ولا توحدت لهما محكمة ، أو ليس هذا من أعاجيب التحاكم فى قوم يقولون إنهم دستوريون ؟!

« لقد كنت ـ ولا زلت ـ بفضل الله ـ فى ثروتك وجاهك وضخام ألقابك ، كما كنت أنا ولا أزال ـ بحمد الله ـ فى قناعتى بالكفاف فى كل شيء ، لا نطمع من كراسى البرلمان إلى جلال نزيده أو مال نستزيده ، أو جاه نستفيده ، وإنما كل همنا ، كما أقول أنا وتقول أنت ، أن نكون لوطننا خداما أمناء ، وحماة أكفاء ، وأبناء برة أوفياء . . إذن فلم لا يضمنا مجلس نتحاكم فيه إلى المندوبين الثلاثينيين لقسم الجمرك ، بل ويشهد ذلك غيرهم ممن يشاء من ذوى الرأى السديد والعقل الرشيد ، ثم ليدلى كل منا بما قدم لوطنه وما أخر ، فأينا حقت له الكلمة على صاحبه ، كان خليقا أن يستمتع بالثقة التى يحرزها ، ويضطلع بالأمانة التى يحملها . ذلك يوم الأربعاء

ندعوك لشهود ماسيقام فيه من الاجتماع الانتخابى فى الساعة الخامسة بمسرح الكونكورديا ، فلتأت بما استطعت من أدلتك على إخلاصك لبلادك مبسوط اليدين بما قدمت من الأعمال فى وزارتيك وفيما وليته من الأعوام » .

من هو الشيخ شاويش ؟

وكتبت جريدة البلاغ بهذا العنوان مايلى :

« والشيخ قادر على ما لم تستطعه الأوائل . والشيخ يكره « أنا » ويحب « نحن » والدليل على ذلك أنه وحده هو الذى جعل نار الحرب تستمر خمسة عشر عاما فى طرابلس « وبقوته غذاها وبهمته قواها وبعين عنـــايته يرعاها » أما أنور ومصطفى كمال وعزيز المصرى والسنوسى وشيوخ الزوايا الأبطال ، أما الأيدى المصرية التى ذللت كل صعب فى سبيل المجاهدين ومهدت الطريق أمامهم حتى حصلوا على كل شىء من مصر ؛ ومروا بكل شىء من مصر ، أما المساعدات الأدبية والمادية التى قامت بها الأمة المصرية ، اما الهمة التى بذلتها ترليا سراً وعلانية ، كل ذلك لايعد شيئاً مذكوراً فى نظر الشيخ « أنا » بل قل لاوجود لهذا ولا أثر لأحد إلا الشيخ ، كل هذا ليقال « لا مجاهد الا الشيخ » .

الصحافة المصرية اليوم

بلغ عدد ما صدر من الجرائد والمجلات والنشرات الدورية منذ صدور العدد الأول من جريدة « التنبيه » المونيتور التى كان يصدرها جيش الاحتلال الفرنسى فى مصر — ألفى صحيفة ، احتجب أكثرها ، وعاش أقلها على صورة اختلفت قوة وضعفا ، فليس مقروءاً ولا ذائعاً غير بضع جرائد ومجلات من الجرائد اليومية والصباحية : الأهرام والمصرى . والأساس . وصوت الأمة . والكتلة . والأخوان المسلمون . والسياسة .

ومن الجرائد المسائية : المقطم . والبلاغ والدستور . والبصير . والزمان .

ومن الصحف التى تصدر بالفرنسية صباحا : الجورنال ديجبت والبروجريه اجبسيان . وبالانجليزية الاجيبشيان ميل . والاجيبشيان غازيت . ومن المسائية : البورص اجبسيان . ولا ليبرتيه . والباترى .

وهناك صحف أجنبية تصدر على الأكثر باليونانية ، وعلى

الأقل بالإيطالية والأرمنية .

ومن الصحف الأسبوعية :

أخبار اليوم . وآخر ساعة . وروز اليوسف . والمصور . والاثنين . ومسامرات الجيب . وكلمة ونص . والنداء . والصباح . وأبو الهول . والجامعة . ورابطة الشباب . واليراع . والعالم العربي . والرسالة . والثقافة . وأخبار الدنيا . وشيخ الصحافة .

ومن الصحف القانونية : الجريدة القضائيه . والإدارة والبوليس القضائى . والمحاكم . والقضاء المصرى . والمباحث القضائيه . والدوائر القضائية . ومجلة كلية الحقوق . والقانون والاقتصاد . والتشريع . والشرائع .

ومن المجلات الشهرية : المقتطف والهلال . والمختار . والفصول والكتاب . والكاتب المصرى . وبنت النيل . والدنيا الجديدة . وأنا وأنت . والحسان . والنيل . والمصرية .

وهناك مجلات فنية ، للزراعة ، والصناعة ، وصحف للتجارة والرياضة ، وسباق الخيل .

الصحف الاقليمية المصرية

يصدر فى المديريات المصرية احدى وأربعون صحيفة اقليمية وكلها تصدر باللغة العربية منها اثنتان وعشرون جريدة فى الوجه البحرى وتسع عشرة فى الوجه القبلى . ومنها صحيفتان يوميتان احداهما فى طنطا والأخرى فى بنى سويف . ومنها ٣٥ جريدة ومجلة أسبوعية ومنها ثلاث جرائد نصف شهرية ومنها مجلة شهرية واحدة تصدر فى أسيوط وهى موزعة كالآتى :

١١ فى الغربية و٧ فى الدقهلية و ١ فى الشرقية و٢ فى البحيرة و ١ فى القليوبية و ١ فى الجيزة و٣ فى بنى سويف و ٥ فى الفيوم و٣ فى المنيا و ٤ فى أسيوط و ١ فى جرجا و ١ فى قنا و ١ فى أسوان .

هذا ولا توجد جرائد اقليمية فى مديرية المنوفية وهى المديرية الوحيدة التى لا يصدر بها صحف .

وظلت الصحف الاقليمية بغير سجل رسمى معترف به حتى سنة ١٩٠٩ ثم تسجلت بصفة رسمية بعد أن جدد أصحابها الإذن باصدارها

وكانت أول صحيفة اقليمية تسجلت هى صحيفة « الحرية » أسبوعية سياسية فى طنطا وكان تاريخ تسجيلها ٢٩ مارس ١٩٠٩

وتعد « الكمال » على رأس صحف الوجه البحرى ويصدرها الأستاذ نجيب يوسف وكيل الأهرام العام فى الوجه البحرى .

أما جريدة « الانذار » فهى جريدة أسبوعية يصدرها الأستاذ صادق سلامه عضو مجلس نقابة الصحفيين ومندوبها فى مؤتمر الصحافة الدولى فى سنة ١٩٤٦ ، وهى عروس صحف الأقاليم .

openkandl.com